

الإعلام وإدارة الصراع

د. محمد عبد العزيز ربيع

قبل بدء حملة الانتخابات الرئاسية الفلسطينية، اقترحت على الرئيس أبو مازن أثناء لقاء تم بيننا في عمان، رفع شعار الصمود، بدلا من شعار المقاومة كأساس للمواجهة مع الاحتلال الصهيوني، كما اقترحت عليه أيضا العمل على إحلال ثقافة الصمود محل ثقافة المقاومة ومحاولة تكريسها في الوعي الجماهيري الفلسطيني. وقمت بعد ذلك بإعداد دراسة من بضع صفحات وإرسالها له، ناقشت فيها بعض القضايا الهامة التي كانت تشغل بال الفلسطينيين في حينه وتقديم توصيات محددة بشأنها، ومنها قضيتي الصمود والمقاومة.

وبعد أن أصبح أبو مازن رئيسا، ذكرته بضرورة التركيز مجددا على ثقافة الصمود في مقابل ثقافة المقاومة، وحاجتنا الماسة لرسم خطة إعلامية مُبادرة في مقدورها مخاطبة الرأي العام الغربي، والتعامل معه بوعي وذكاء، وطرح وجهة النظر العربية والفلسطينية بوضوح من قضيتي "عملية السلام" الاعتراف بإسرائيل. ومن أجل تأكيد ما دار بيننا من حديث وتوضيحه، قمت بإعداد دراسة مختصرة شرحت فيها متطلبات التحرك الواعي على الساحة الدولية في المرحلة الجديدة، وكيفية شرح الموقف الفلسطيني والعربي من الاحتلال والسلام، وتحديد أهم عناصر الخطة الإعلامية المقترحة، وذلك إلى جانب أشياء أخرى تتعلق بكيفية إدارة بعض أوجه السياسة الخارجية.

وعلى الرغم من أن أبو مازن أبدى تفهما لما اقترحت عليه من أفكار، إلا أنه نسي كل شيء بعد أن غرق في المشاكل اليومية والصراعات الداخلية، وانشغل في قضية مواجهة الجرائم الإسرائيلية المتواصلة ضد الشعب الفلسطيني. وحين أعدت تذكيره بضرورة التركيز على ثقافة الصمود في مواجهة ثقافة المقاومة، وذلك قبل إجراء الانتخابات التشريعية التي أوصلت حماس إلى الحكم، قال لي: "لقد قمت بالدعوة لذلك أثناء حملة الانتخابات"، وهذا دفعني إلى القول أن حملات الإعلام الناجحة لا تبدأ وتنتهي خلال أيام، بل تستمر لسنوات، ولا تستخدم وسيلة إعلامية واحدة أو منبر محدد، بل العديد من الوسائل والمنابر الإعلامية المتنوعة.

وهذا يذكرني بحادثة مماثلة وقعت بيني وبين الرئيس الفلسطيني الراحل، ياسر عرفات في أواخر الثمانينات. ففي إحدى زياراتي المتكررة للقيادة الفلسطينية أثناء وجودها في تونس، دعاني أبو عمار كعادته إلى تناول الغداء معه ومع من تواجد في ذلك الوقت من قادة المنظمة في العاصمة التونسية. وبعد انتهاء الغداء، طلب مني أبو عمار الذهاب معه إلى البيت كي نواصل حديثنا على انفراد، وكان الموضوع الأكثر إلحاحا في حينه هو كيفية طرح وجهة النظر الفلسطينية من قضية السلام مع إسرائيل على الساحة الدولية، وكيفية الوصول إلى الرأي العام الأمريكي والإسرائيلي وإقناعهم بأن المنظمة تؤمن بمبدأ السلام والتعايش السلمي مع الدولة اليهودية. وفي معرض حديثنا في السيارة التي نقلتنا إلى البيت، قال لي أبو عمار أنه وجه خطابا للرأي العام العالمي أشار فيه إلى موقف المنظمة ودعوتها للسلام والتعايش السلمي مع إسرائيل.

قلت لأبو عمار أن خطابا واحدا لا يقدم ولا يؤخر بشأن قضية كقضيتنا، وأن مئة خطاب لا تكفي للوصول إلى 1% من الجمهور المستهدف، وأن شرح وجهة النظر الفلسطينية وقطع الطريق على أبواب الدعاية الصهيونية والأمريكية المشككة في النوايا الفلسطينية تحتاج إلى عمل أكثر، ومجهود أكبر، ونفس أطول، ووعي أفضل وأعمق، وخطة إعلامية متكاملة، تستخدم كل الوسائل المتاحة، وتغتنم كل الفرص السانحة، وتخلق لنفسها منابر عدة في كافة البلاد ذات التأثير المباشر في عملية السلام وتطورات الصراع على الساحة الفلسطينية. فوجئ أبو عمار بما قلت، لكنه لم يعلق، إذ كنا قد وصلنا إلى احد البيوت التي اختارتها الأجهزة الأمنية في ذلك اليوم لقضاء فترة ما بعد الظهر.

وحين فتح لنا رجال الأمن باب البيت وتركونا لوحدنا، كان جهاز التلفزيون أول شيء يستقبلنا هناك. مد أبو عمار يده بصورة تلقائية، فتح التلفزيون، وتابع سيره إلى غرفة نومه لتبديل ملابسه. لم يكن أبو عمار قد خطى أكثر من خمسة خطوات حتى ظهرت الصورة على شاشة التلفزيون، وكانت دعاية لمشروب كوكا كولا... طلبت من أبو عمار العودة بسرعة، وحين عاد، قلت له هل ترى هذه الدعاية، قال نعم... قلت إنهم يكررونها مئة مرة كل يوم على الأقل، وبعده طرق مخلقة أحيانا، وذلك على أمل أن ترسخ في عقل المشاهد بعد رؤيتها للمرة المائة ألف، ويفكر في مشروب الكوكا كولا حين يشعر بالعطش.

إن قيام إسرائيل بعدوانها الحالي على أبناء الشعب الفلسطيني عامة، خاصة المتواجدين منهم في غزة، يعتبر فرصة مواتية لحملة إعلامية فلسطينية هادفة. إن من واجب القيادة الفلسطينية، ومن حقنا عليها أيضا أن تبادر إلى مخاطبة الرأي العام العالمي باللغة التي يفهما، وشرح أبعاد العدوان الإسرائيلي على الحقوق الإنسانية والتاريخية للشعب الفلسطيني، وكشف حقيقة رفض الحكومات الإسرائيلية المتتالية فكرة

السلام القائم على أساس دولتين، وقيام تلك الحكومات بعدم احترام أي من الاتفاقيات التي وقعتها مع السلطة الفلسطينية.

لكن علينا أن نعترف هنا أن الإعلام العربي عامة أصبح هو الحاضر قصرا في حياتنا اليومية، والغائب دوما عن الساحة الدولية. لقد أصبح الإعلام العربي، خاصة المرئي منه، لا يحسن سوى تزييف وعي الجماهير العربية، ولا يستمرؤ سوى تدمير العقل العربي والتسبب في إغلاقه حتى تسهل السيطرة عليه، ولا ينقل لنا من الأحداث العالمية سوى ما تتداوله المؤسسات الإعلامية الأمريكية التي تسيطر عليها وتقوم بصياغة رسالتها المنظمات الصهيونية وقوى اللوبي الإسرائيلي في واشنطن.

لقد كان من المحزن أن نشاهد خروج الشباب العربي في مظاهرات حاشدة بالسيارات احتفاء بفوز إيطاليا بكأس العالم في كرة القدم، بينما كانت القوات الإسرائيلية تقتل العشرات من الأبرياء والأطفال في غزة. فشكرا للإعلام العربي، وأحر التهاني له بسبب نجاحه في قيادة الجماهير العربية، الفقيرة منها قبل الثرية، إلى نسيان كل شيء من أجل متابعة المباريات، وتقزيم كل القضايا العربية، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية، أمام قضية كأس العالم.

لنشر يوم الثلاثاء 2006-10-10

د. محمد عبد العزيز ربيع

www.yazour.com

rofessorrabie@yahoo.com